

## معالم حياته :

ولد ابو سعيد الحسن بن ابي الحسن يسار البصري سنة ٢١ للهجرة [٦٤١ ميلادية] من اب فارسي كان نصرانياً ثم اسلم ، اما امه وتدعى « خيرة » فقد كانت مولاة لام سلمة زوج النبي ﷺ ولذلك كثيراً ما كانت تتردد على المدينة لخدمتها ، فلما ولد الحسن عرضته عليها فدعت له باليمن والخير ، وكان يحدث أن تغيب لحاجة فيبكي فترضعه ام سلمة رضي الله عنها . لقد قدر للحسن أن ينشأ ويتربى في بيت النبوة ، وكانت والدته مُحدثةً بحكم صلتها بام سلمة فأخذ عنها العلم منذ نعومة اظفاره ، ثم حفظ القرآن وهو في الرابعة عشرة من عمره ، وإلى جانب ذلك تشرف بصحبة كبار الصحابة وتلمذ على أيديهم في مسجد رسول الله ﷺ حيث روى عن علي وعثمان وابن عباس وعبدالله بن عمر رضي الله عنهم ، ثم انتقل إلى مدينة البصرة الحافلة بشتى أنواع العلم سنة ٣٦ هجرية [٦٥٦م] فنهل من حلقات العلم في مسجدها الكبير فأخذ التفسير

تميزت البصرة بتاريخ حافل منذ دخلها نور الإسلام في السنة السابعة عشرة للهجرة ، وكان بحق أكبر رافد طعم أجواءها الثقافية والسياسية إلى جانب ما قد عُرفت به قديماً من تنوع وتعدد لمختلف الأجناس والأهواء والملل . لقد تركزت في هذه المدينة دعائم الإسلام الأولى مع مجيء الصحابي الجليل ابي موسى الأشعري رضي الله عنه موقفاً من قبل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تمثلت بالخصوص في تركيز أعمال جلييلة أقامت أسس الإسلام وساهمت في نشر راياته ، وقد ظل الصحابي الكبير وهو وال على البصرة يعلم المسلمين القرآن في المسجد ، ويقيم أحكام الإسلام في المجتمع على ركائز العدل والتقوى ، وقد كان ذلك كافياً لغرس حياة روحية عارمة قضت على تلك الأمشاج المتلونة التي أغرقت البصرة في أنواع الترف والنهو ، ولقد قدر لهذا الغرس الإيماني الفيض أن يواصل نماءه حتى بعد رحيل ابي موسى الأشعري سنة ٥٢ للهجرة على أيدي جماعة من العبّاد والراهبين من أمثال هرم بن حيان والأحنف بن قيس وصلة بن أشيم الذين كانوا بحق الممهدين الأوائل لمدرسة الحسن البصري التي أثرت في حياة مجتمع البصرة ولونته بطابع خاص . ويعتبر صاحب هذه المدرسة من أكبر الشخصيات علمية أنتجها العصر الأول ساهمت في إثراء الحالة الدينية والعلمية لزمن طويل وتركت آثاراً هامة على امتداد القرنين الثاني والثالث الهجريين

## ضمير القرن الأول الهجري

بقلم : محمد بدر الدين بن حسن

## الحسن البصري ضمير القرن الأول الهجري

وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك ، إنه من  
جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس  
مثل هذا لقي الله يوم القيامة ولا خلاق  
له . . .

### آراؤه وأفكاره . . .

لقد تمثلت روح الحسن عصر النبوة  
والصحابة ، فكان كثيراً ما يقارن بينه  
وبين واقع البصرة ويطمح لاستلزام تلك  
الروح ومعانقتها ، وكان يحزنه أن لا يجد  
صدي للسمو والرفعة نحو آفاق الإيمان  
الرحبة .. يقول معبراً عن ذلك :  
( ... والله ما من رجل أدرك القرن  
الأول أصبح بين ظهرانيكم إلا أصبح  
مغموماً وأمسى مغموماً ) ولذلك لازمه  
ظاهرة الحزن والبكاء ، وكثيراً ما حاول  
في حلقاته أن يجسم تلك الروح ، يقول  
موضحاً ذلك : ( ... نضحك !  
ولا ندري لعل الله قد اطلع على بعض  
اعمالنا فقال لا أقبل منكم شيئاً ..  
ويحك يا ابن آدم هل لك بمحاربة الله  
طاقة ؟ )

لقد كرس الحسن حياته للنصح  
والإرشاد ، ولذلك كان يرأس عمر بن  
عبد العزيز في هذا الشأن ، ولقد كان  
لمواعظه دوي كبير وتأثير عميق في جماهير  
البصرة ومختلف أوجه حياتهم ، ولقد  
تمثلت جهوده الإسلامية في تصحيح  
العبادة وتخليص المسلم من سلطان  
الخطايا والشهوات ، فقد كان يعتبر أن  
حياة القلب وسلامته طريق الإيمان  
الحق .. ولذلك ركز على إصلاح النفس  
ورياضة الوجدان وكان يستخدم أسلوب  
محاسبة النفس لبعث اليقظة والوعي

والحديث عن ابن عباس ، والقراءات  
عن حطّان الرقاشي والقصص والأدب  
عن الأسود بن سريع ، ثم لازم حلقات  
القراء والعبّاد البصريين مما أهله فيما  
بعد فضلاً عما اتصف به من ورع  
وصلاح أن يكون شيخ القراء والتابعين ،  
وأقبل الناس عليه يأخذون منه الحكمة  
والموعظة : يقول خالد بن صفوان مشيراً  
إلى هذه المرتبة التي نالها الحسن :

( ... لقيت مسلمة بن عبد الملك في  
الحيرة ، فقال لي : أخبرني يا خالد عن  
الحسن فأبني أظن أنك تعرف من أمره  
ما لا يعرف سواك . فقلت : أصلح الله  
الأمير ، أنا خير من يخبرك عنه بعلم ،  
فأنا جواره في بيته ، وجليسه في  
مجلسه ، وأعلم أهل البصرة به .  
فقال : هات ما عندك . فقلت : إنه امرؤ  
سريته نيته ، وقوله كفعله ، إذا أمر  
بمعروف كان أعمل الناس به ، وإذا  
نهى عن منكر كان أترك الناس له ،  
ولقد رأيته مستغنياً عن الناس زاهداً  
بما في أيديهم ، ورأيت الناس محتاجين  
إليه طالبين ما عنده . فقال مسلمة :  
حسبك يا خالد حسبك ، كيف يضل  
قوم فيهم مثل هذا !؟ )

ومما يدل على عظيم قدره وثقة الناس  
به لجوؤهم إليه أثناء ثورة ابن الأشعث  
سنة ٨٠ للهجرة يستقون في الأمر ،  
وتوليه قضاء البصرة سنة ٩٩ للهجرة  
[٧١٧ ميلادية] من قبل الخليفة  
عمر بن عبدالعزيز .

وقد اتصف الحسن إلى جانب ذلك  
بحسن الخلق ورفعة النفس ، فقد أثر عنه  
أن رجلاً اغتابه فما كان منه إلا أن بعث  
له بطبق من الحلوى قائلاً : بلغني أنك  
نقلت حسناتك إلى ديواني فكافأتك بهذا .  
وحدث أن رجلاً من خراسان قدم له  
بعد الفراغ من درسه كيساً فيه خمسة  
آلاف درهم وعشرة أثواب فاخرة ، فقال  
له الحسن :

عافاك الله تعالى ، ضم إليك نفقتك

بقيمة الزمان واستغلال الوقت ، يقول في  
ذلك :

« ... يا ابن آدم إنما أنت عدد فإذا  
مضى يوم فقد مضى بعضك . »  
ومن الواضح أن هذا المنهج الذي  
طبقة الحسن البصري على نفسه ودعا  
إليه غيره يعود في الحقيقة إلى تأثيره  
بمسلك الإمام علي رضي الله عنه الذي  
تشرف بصحبته والنهل من ينابيعه  
الرقراة .

### من مواقفه . . .

من المواقف المشهورة للحسن أنه  
حين أمر الحجاج بإقامة بناء ضخم في  
واسط ، ودعا الناس إليه للفرجة  
والدعاء ، خرج الحسن للوعظ والتنبيه ،  
وخطب في الناس قائلاً : « لقد نظرنا  
في ما ابتنى أخبث الأخبثين ، فوجدنا  
أن فرعون شيد أعظم مما شيد ، وبني  
أعلى مما بني ثم أهلك الله فرعون وأتى  
على ما بني وشيد ... إلى أن قال :  
... لبيت الحجاج يعلم أن أهل السماء  
قد مقتوه ، وأن أهل الأرض قد غرّوه ،  
فلما علم الحجاج بذلك غضب غضباً  
شديداً ، وقال للناس :

والله لأسقيكم من دمه ...  
وأمر بإحضار الحسن ، فلما أحضر  
أقبل على الحجاج في عزة وثبات ، ثم  
حرك شفطيه بكلمات في بعض أمور الدين  
بعد أن جلس على كرسيه والناس  
يعجبون ، فلما خرج من عنده تبعه  
حاجب الحجاج واسترققه قائلاً :

يا أبا سعيد لقد دعاك الحجاج لغير  
ما فعل بك ، وإنني رأيتك عندما أقبلت  
حركت شفطيك فماذا قلت ؟ قال : قلت  
يا ولي نعمتي وملاذي عند كربتي  
اجعل نقمته برداً وسلاماً عليّ كما  
جعلت النار برداً وسلاماً على  
إبراهيم !!

## ■ كان الحسن البصري رحمه الله إذا أمر بمعروف أعمل الناس به وإذا نهى عن منكر أترك الناس له ..

ينصح لك في دينك ويحملك على امر  
آخرتك خير من إن تلق رجلاً يغريك  
ويمنيك ، فقام ابن هبيرة وقد بسُر  
وجهه وتغير لونه .

قال الشعبي : فما رأيت مثل الحسن  
فيمين رأيت من العلماء إلا مثل الفرس  
العربي بين المقارف ، وما شهدنا مشهداً  
إلا برز علينا وقال لله تعالى . ثم قال  
الشعبي :  
أنا اعاهد الله أن لا اشد سلطاناً  
بعد هذا المجلس فأحابيه ...

### وفاته ...

توفي الحسن عشية الخميس من  
سنة ١١٠ هجرية [٩٣٣ ميلادية] عن  
ثمان وثمانين سنة ودفن يوم الجمعة .  
وكانت وفاته حدثاً كبيراً هز أرجاء  
البصرة إذ تبع جنازته أهلها جميعاً فلم  
تُقم صلاة العصر بمسجد المدينة  
لانشغالهم بحادثة موته ، وقد ذكر  
المؤرخون أنها ما تركت منذ كان  
الإسلام .

### المراجع ...

- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام : الجزء الثالث : د . علي سامي النشار .
- الإسلام بين العلماء والحكام : عبدالعزيز البديري .
- الحسن البصري فقيه البصرة في العهد الأول من الإسلام . مقال من مجلة العربي العدد ١٤٩ . ذو الحجة ١٣٩٠ م .
- الحسن البصري : د . عبد الرحمن رافت الباشا بالمجلة العربية عدد محرم ١٣٩٠ م .

وإني سمعت عبدالرحمن بن سُمره  
القرشي صاحب رسول الله ﷺ يقول : قال  
رسول الله ﷺ : « من استرعى رعية  
فلم يحطها بالنصيحة حُرّم الله عليه  
الجنة » .

ويقول الأمير إني ربما قبضت من  
عطائهم إرادة صلاحهم واستصلاحهم  
وان يرجعوا إلى طاعتهم ، فيبلغ أمير  
المؤمنين إني قبضتها على ذلك النحو  
فيكتب إلي أن لا تردّه ، فلا أستطيع ردّه  
أمره ولا أستطيع إنفاذ كتابه ، وحق الله  
الزم من حق أمير المؤمنين ، والله أحق أن  
يطاع ؛ ولا طاعة لمخلوق في معصية  
الخالق ، فأعرض كتاب أمير المؤمنين على  
كتاب الله تعالى فإن وجدته موافقاً لكتاب  
الله فخذ به ، وإن وجدته مخالفاً لكتاب  
الله فأنذه : يا بن هبيرة اتق الله فإنه  
يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين  
يزيك عن سريرك ويخرجك من سعة  
قصرك إلى ضيق قبرك ، فتدع سلطانك  
ودنيك خلف ظهرك وتقدم إلى ربك وتنزل  
على عملك . يا بن هبيرة إن الله ليمنعك  
من يزيد وإن يزيداً لا يمنحك من الله ،  
وإن أمر الله فوق كل أمر وإنه لا طاعة  
لمخلوق في معصية الخالق ، وإني أحذرك  
بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين .  
فقال ابن هبيرة : إربع على ضلعتك  
وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين ، فإن أمير  
المؤمنين صاحب العلم ، وصاحب  
الحكم ، وصاحب الفضل ، وإنما ولّاه  
الله ما ولّاه من أمر هذه الأمة لعلمه به ،  
وما يعلمه من فضله ونيته .  
فقال الحسن :

يا بن هبيرة ! الحساب من ورائك  
سوط بسوط ، وغضب بغضب ، والله  
بالمرصاد ، يا بن هبيرة إنك إن تلق من

ومن المواقف الهامة التي سجلها  
التاريخ للحسن موقفه الجريء مع  
عمر بن هبيرة والي البصرة ، فقد دعا  
هذا الأخير فقهاء أهل البصرة وأهل  
الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام ، وأخذ  
يسألهم واحداً واحداً ، ثم طلب منهم  
الانصراف ، وخلا بالشعبي عالم أهل  
الكوفة وبالحسن البصري عالم أهل  
البصرة ، فأقبل على الشعبي ، فقال :  
يا أبا عمرو إنني أمين أمير المؤمنين  
على العراق وعامله عليها ورجل مأمور  
على الطاعة ، ابتليت بالرعية ولزمني  
حقهم ، فانا أحب حفظهم واتعهد  
ما يصلحهم مع النصيحة لهم ، وقد  
يبلغني عن العصابة من أهل الديار  
الأمر أجد عليهم فيه فأقبض طائفة من  
عطائهم فاضعه في بيت المال ومن نيتي  
أن أردّه عليهم ، فيبلغ أمير المؤمنين  
إني قد قبضته على ذلك النحو فيكتب  
إلي أن لا تردّه ، فلا أستطيع رد امره  
ولا إنفاذ كتابه وإنما أنا رجل مأمور  
على الطاعة فهل عليّ في هذا تبعة ..  
وفي أشباهه من الأمور والنية فيها على  
ما ذكرت ؟

قال الشعبي : فقلت أصلح الله الأمير  
إنما السلطان والد يخطيء ويصيب :  
قال : فسُرّ بقولي وأعجب به ورايت  
البشر في وجهه ، وقال : فله الحمد .  
ثم أقبل على الحسن ، فقال :  
ما تقول يا أبا سعيد ؟

قال : لقد سمعت قول الأمير يقول :  
إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله  
عليها ، ورجل مأمور على الطاعة ابتليت  
بالرعية وله مني حقهم والنصيحة لهم  
والتعهد بما يصلحهم ، وحق الرعية لازم  
له وحق عليك أن تحوطهم بالنصيحة ،